نساء العرب والحرب

للنساء فى الاسلام حضارة واسعة المدى مترامية الاطراف إذ نبغ منهن من اشتهرن بالعقل والحكمة وسعة الاطلاع وكان لهن أكبر تأثير فى الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسة وضربن بسهم وافر فى مختلف العلوم حتى ظهر منهن من قدن الجند وتولين الملك ومن شغلن مراكز كبيرة فى الدولة . فضلاعن المشتغلات بالفنون الجميلة والكاتبات والشاعرات والطبيبات والمشتغلات بعلوم الحديث والفقه حتى أن جهابذة الرجال اخذوا عنهن وأجزن (١) للكثير منهم مثل العلامة ابن عساكر المحدث والمؤرخ وأبو نواس الشاعر المشهور والعلامة ابن حجر العسقلانى المؤرخ وغيرهم مما لاتتسع هذه العجالة لذكرهم

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء النابغات منهن منذ صدر الاسلام الى وقتنا هذا .

وسندلى بشذرات صغيرة عن اشتراكهن فى ميادين القتال ومداواتهن الجرحى واكبابهن بما لهن وحليهن لمساعدة الجيوش

غزوة بدر — سنة ٢ هـ — ٦٢٤ م فى هذه الغزوة تقدمت أم سليم ورقة بنت نوفل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له ائذن لى فى الغزو معك امرض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة . قال قومى فى بيتك فان الله عزوجل يرزقك الشهادة . فكانت تسمى الشهيدة

غزوة احد شوال سنة ٣ هـ مارس سنة ٦٢٥ م من ابطال هذه الغزوة أم حبيب نسيبة بنت كعب

وكانت أم قيس بنت عبدالله تملأ الماء فى القرب وتسقى الجيش

وبينما كان المسلمون تتقاتلون كانت النساء فى حصن حسان بن ثابت ومعهن صفية (٢) عمة النبى صلى الله عليه وسلم وإذا بيهودى يطوف بالحصن فنزلت صفية

(١) الأجازة بمثابة الشهادة فى عصرنا

(٢) فى تاريخ الاسلام للذهبى أنها كانت يوم الخندق

وأخذت سيفا وقيل هراوة فضربت اليهودى حتى قتلته.

غزوة تبوك — سنة ٩ هـ ٦٣٠ م فيها اعان النساء الجيش بكل ماقدرن عليه وقدمن لرسول الله صلعم معاضد وخلاخل وأقراطا وخواتيم لاعانة المسلمين فى جهازهم والناس فى عسرة شديدة

فتح اليمامة — سنة ١٢ هـ ٦٣٣ م من نابغات النساء فى هذه المعركة أم حبيب نسيبة بنت كعب ظلت تقاتل حتى انصرفت وبها جراحات. وأم عمارة بنت كعب الانصارية

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م اشترك فى هذه الواقعة الصبيان والنساء مع المجاهدين فكن يدفن الشهيد وتحمل اليهن الجرحى لمعالجة كلومهم

ومن الشجاعات فى هذه الوقعة الخنساء الشاعرة. قاتلت ومعها نبوها أربعة رجال فقالت لهم أول الليل

«يابنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولاهجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون «فاذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سباقها «وجللت نارا على أرداقها، فلتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة». فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها. فلما أضاء لهم الصبح بادروا إلى مراكزهم واستمروا يقاتلون حتى قتلوا رحمهم الله تعالى فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعني بهم فى مستقر رحمته

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتي توفى.

ومن نظمها

تعرفنى الدهر نهسا وحزاً واوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً

وأفنى رجالى فبادوا معا فأصبح قلبى منهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها ونلبس فى الامن خزاً وقزا

مرج الصفر — سنة ١٤ هـ (٦٣٥م) أقام المسلمون بها خمسة عشر ليلة من المحرم ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً

ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر واشتد القتال وانتصر المسلمون وقتلت يومئذ أم حكيم أربعة من الروم بعمود فسطاطها

واقعة اليرموك (سنة ١٥ هجرية — سنة ٦٣٦ م) فى هذه الوقعة انتصر المسلمون انتصارا باهرا على الروم وكان للنساء فى هذا النصر نصيب يذكر بكل ثناء واعجاب فقد قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخلن العسكر. منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام

ولقد كان لهن فى هذه الواقعة مواقف مشهودة واليهن يرجع الفضل فى نصرة المسلمين ففى ميدان القتال بعد ان خطب ابو سفيان بن حرب فى الجيش مشجعا ، رجع الى النساء اللاتى مع المسلمين. وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وابنائهن وجلسن خلف صفوف المسلمين فأمر بالحجارة فالقيت بين أيديهن ثم قال لا يرجع اليكن أحد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة وقلن له (من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام وأهله عن النساء وهم أمام العدو .الله الله)

ولما نشبت الحرب بين الفريقين وحمى وطيسها تقهقر بعض المقاتلين من المسلمين فاستقبلهم النساء ومعهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههم ويضربونهم بالحجارة

وفى أثناء القتال انكشف فريق من المسلمين وثبت فريق آخر وركبت الروم اكتاف من انهزم حتى دخلوا معهم المعسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربن بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقلن أين أين عز الاسلام والامهات والازواج ، فيعطف الذين انهزموا الى باقى صفوف المسلمين

واستمر القتال حتى شد طرف من الروم على عمر بن العاص فانكشف هو واصحابه

حتى دخلوا أول العسكر وهم فى ذلك ينشدون و يقاتلون فنزل النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال . ونادت فى الناس ابنة العاص (قبح الله رجلا يفر عن خليلته، وقبح الله رجلا يفر عن كريمته)

وسمع نسوة منهن يقلن، لستم بعولتنا ان لم تمنعونا ، فترد المسلمون وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم واجتمع المسلمون و حملوا على الروم حتى اضطروهم الى صفوفهم وشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة حتى تم لهم النصر

ومن بطلات هذه الواقعة اسماء ابنة يزيد فانها قتلت بعمود خبائها تسعة ومنهن هند ابنة عتبة ام معاوية بن ابى سفيان

ومنهن أيضا خولة بنت ثعلبة الانصارية

واقعة صفين سنة ٣٨ هـ ٦٥٨ — ٦٥٩م

كانت بين على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعاوية، وكان للنساء فيها شأن يذكر وكان يسمع نداء الزرقاء ابنة عدى وهي تحض على القتال وتوقد الغيرة فى صدر الجبان وتجعل الحياة رخيصة . ولكن هذه العجالة تضيق عن حصر كلماتها هى ومن ساذكرهن

فما قالته

«أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على الغصص فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى بيقضى الله أمرا كان مفعولا. الا وأن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجل الدماء . . .

و منهن عكرشة ابنة الأطرش كانت متقلدة سيفا وتنادى فى صفوف المجاهدين

«أيها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم . ان الجنة لايرحل من توطنها ولايهرم من سكنها ولا يموت من دخلها. فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم»

ومنهن أم الخير ابنة حريش فانها كانت تحرض الفرسان على الثبات وتؤجج فى

قلوبهم نار الحمية بما يهجنهم من الاقوال الحماسية، والمظاهر التي تلتهب لها الصدور غيرة فمن قولها

«يا أيها الناس: اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم. ان الله قد أوضح لكم الحق وابان الدليل و بين السبيل و رفع العلم ولم يدعكم فى عماء مدلهم. فاين تريدون رحمكم الله. أفرارا من أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف، أم رغبة فى الاسلام، أم ارتدادا عن الحق. أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم . . .

غزالة امرأة شبيب

وفى سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) حصلت وقائع بالموصل بين الحجاج وشبيب ابن يزيد بن نعيم فبعث اليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم خرج الحجاج لقتاله.

وكان يقاتل مع شبيب ام جهزة وامرأته غزالة وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم تقاتل فى الحروب بنفسها. ولقد نذرت مرة لتصلين فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتى البقرة وآل عمران فاقدمت على المسجد فى سبعين فارسا فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها. و برزت يوما للحجاج فكشفته عن عسكره وقصدت الراية فولى بين يديها منهزما وفى ذلك يقول من يهجوه

أسد على وفى الحروب نعامة فزعاء تفزع (١) من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحي طائر

فى سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م سار يزيد بن أبى كبشة فالتقى هو والريان النكرى بالبحرين. ومع الريان امرأة تقاتل اسمها جيدا وما زالت تقاتل حتى قتلت

وفى سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ — ٤١ م — خرج عشرون ألفاً من الروم ونزلوا ملطية فأغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهن العمائم (٢) وقاتلن.

ولوالدة رافع (٣) الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد أراء جيدة فى الحروب

---

(١) وفى رواية فتخاء تجفل من صفير الصافر

(٢) العمائم. من أزياء النساء استعملت منذ الصدر الأول للاسلام وظلت موجودة الى القرن الثالث عشر الهجرى

(٣) توفى رافع المذكور سنة ٤٢٧ هـ

فتح أرسوف ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م افتتحها الملك الظاهر بيبرس واشترك النساء مع المجاهدين وقدقمن بمداواة الجرحى والقيام بحوائج الجيش ومنهن من تولى جر المنجنيق وهو عمل شاق بمثابة عمل الطوبجى فى الجيش

حرب الوهابيين سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م . سافر طوسون باشا من الطائف ومعه ٢٠٠ جندى للغارة على «تربة» لحرب الوهابيين ولم يحصل من قبائل العرب مقاومة أشد مما اجراه عرب أبى جوم فى تربة وكان قد لجأ اليها معظم عساكر الشريف غالب وصارت تجمع كل الوهابيين الموجودين فى الجنوب . كما أن الدرعية تجمعهم فى الشمال . وكان قائد هؤلاء العربان فى هذا الوقت أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة ، وكانت هى على غاية من الغنى والثروة فوزعت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون فى محاربة الترك ، فلما أمر عساكره بالهجوم كان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود غالية معهم وهى المقدمة عليهم فصدوا طوسون وعساكره

وفى اليوم الثانى شرع طوسون وعساكره فى التقهقر فاضطروا إلى ترك خيامهم وسلاحهم وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الفشل أن يموت جميع العساكر لو لا أن شرذمة من الخيالة استردوا مدفعاً وحفظوا به خط فى الرجعة وتعطلت بعد ذلك الاجراءات الحربية ثمانية عشر شهرا

(شذرات عن شجاعتهن)

أم عطية الانصارية نسيبة . روى عنها أنها قالت غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم فى رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى

روى لنا الذهبى فى تاريخه أن أسماء ابنة أبى بكر اتخذت خنجرا فى زمن سعيد ابن العاص للصوص ، وكانوا استفزوا من المدينة فكانت تجعله تحت رأسها .

جرح فتى من العرب فجاء الى أمه يستسقيها ماء فقالت له ان الماء لن يفوتك أبدا . اذهب فخذ ثارك ، وأخرجته ولم تسقه . هذه عجالة صغيرة عن اشتراك النساء المسلمات فى القتال راعيت فيها الايجاز اتقاء للملل . وقد أعطتنا صورة واضحة عن شجاعتهن فى عصور الاسلام وما كان لهن من أثر حسن فى الفتوحات الاسلامية ؟

حسن عبد الوهاب